سلسلة تفريغات شبكة بينونة

السُّنَّة

ودورها في نهضة الأمة

الشيخ
د. سعيد بن سالم الدرمكي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغا

لمحاضرة بعنوان

السنة ودورها في نهضة الأمة

للشيخ:

د.سعيد بن سالم الدرمكي

-حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ...

فإن أصدق الحديث كلام الله، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة.

✡**إخواني الأفاضل**؛ كما تعلمون عاش الناس قبل بعثة نبينا ﷺ جاهلية مظلمة، غطّتها ظلمات الكفر، والجهل، كانت الحقوق فيها مسلوبة، والدماء مسفوكة، والأعراض منتهكة، تقوم الحروب فيها لأتفه الأسباب كما تعلمون من حربي داحس والغبراء، وحرب البسوس وغيرها من هذه الحروب التي استمرت سنين لأتفه الأسباب.

ثم بفضل الله ﷻ ومنته على هذه الأمة أن بعث فيهم رسولًا منهم؛ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ، وأنزل عليه الكتاب؛ وهو القرآن الكريم ليُخرج الناس من ظلمات الجاهلية والكفر والإلحاد إلى نور التوحيد والإسلام والإيمان.

يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التَّوْبَة الآية 127].

وقال سبحانه: ﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطَّلَاق الآية 11].

☜**فمن أراد الهداية** فعليه باتباع هدي النبي ﷺ؛ وذلك بلزوم الكتاب الذي أُنزل عليه، وباتباع سنته ﷺ؛ قال ﷺ: «**تركتُ فيكم أمرينِ؛ لن تَضلُّوا ما إن تمسَّكتُم بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتّى يرِدا عليَّ الحوضَ**».

بالكتاب والسنة أسس النبي ﷺ والمسلمون من بعده نهضة فاقت الوصف؛ كمًا، وكيفًا، ونوعًا.

ففي فترة زمنية يسيرة هي ثلاث وعشرين سنة استطاع النبي ﷺ أن يوحد الصفوف، وأن يجمع القلوب بتوفيق من الله ﷻ، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٣﴾ [الأنفال الآية 63].

حتى أصبحت دولة الإسلام هي المثال والأسوة للدولة المتطورة التي حققت نهضة شاملة في جميع مناحي الحياة، ولم تقتصر على جانب دون جانب؛ وذلك لأن هذه السنة من لدن حكيم خبير، هو الخالق لهذا الكون، فيعلم ما يصلح لهم وما يُصلحهم، **وعلّق ربنا ﷻ** حصول الهداية للأفراد والمجتمعات والدول في طاعة النبي ﷺ، فقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النُّور الآية 54].

فهذا شامل للأفراد والجماعات والدول، وجعل النبي ﷺ لزوم سنته واتباعها من أسباب حصول العزة والكرامة، وجعل مخالفة السنة من أسباب حصول الذل والمهانة.

قال ﷺ: «وجُعِلَ الذُّلُّ و الصَّغارُ على من خالفَ أمري »[1].

ومفهوم المخالفة أن من اتبع أمره ﷺ فله العزة والكرامة، هذه العزة والكرامة كذلك تشمل الأفراد والمجتمعات والدول، وحصول الذلة والمهانة والصغار كذلك يشمل الأفراد والمجتمعات والدول إن هم خالفوا هدي النبي ﷺ.

ولو تأملنا السنة لوجدنا أن نبينا ﷺ ربما علّق ظهور الدين ونصرة الإسلام على ظهور السنة.

ومما يُناسب وقتنا في شهر رمضان سنة يسيرة لكن علّق عليها النبي ﷺ حصول الخير وظهور الدين؛ وهي تعجيل الفطر.

قال ﷺ: «لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ»[2].

وقال ﷺ: «لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، لِأَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ»[3].

---

(1) – صحيح الجامع (٢٨٣١).

(2) – أخرجه البخاري (1957).

(3) – أخرجه أبو داود (2353).

فعلَّق النبي ﷺ خيرية هذه الأمة وظهور هذا الدين بتطبيق سنة يسيرة، فما بالك بتطبيق بقية السنن؟!

كما أن نبينا ﷺ قد ذكر داءً عظيمًا يصيب هذه الأمة؛ وهو التفرق والتنازع، وجعل حله الرجوع إلى سنة النبي ﷺ؛ هذا التفرق والتنازع لا يختص بالأفراد، وإنما يختص بالأفراد والمجتمعات والدول، وعلاجه في السنة.

قال ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

وقال: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» من هي؟ أتباع السنة، فقال ﷺ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[2].

فالنجاة الحقيقية في اتباع سنة النبي ﷺ.

فهذا التفرق المذموم المشؤوم الذي له أثره السيء على نهضة البلدان وتطورها وتنميتها، **علاجه** في سنة النبي ﷺ باتباعها ولزومها.

وصحابة النبي ﷺ أدركوا ذلك؛ فأدركوا أن نهضة دولتهم لن تقوم ولن تستمر ولن تنهض إلا على الأسس التي بنى عليها النبي ﷺ دولته.

أبو بكر الصديق ﷺ خليفة المسلمين الأول، وفي بداية خلافته؛ رأى أن ثبات الإسلام، وقيام الدولة قائمٌ على تطبيق سنة النبي ﷺ، وإن كان ظاهر التطبيق أن ذلك سيؤدي إلى هزيمة المسلمين.

وتأمل معي هذه الواقعة:

روى ابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ قال: "وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتُخْلِفَ مَا عُبِدَ اللهُ ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ ثُمَّ الثَّالِثَةَ ثُمَّ قِيلَ لَهُ: مَهْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَجَّهَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فِي سَبْعِ

(1) – أخرجه أحمد في المسند (17142).

(2) – أخرجه الترمذي (2640) وابن ماجه (3991).

مِائَةٍ إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي خَشَبٍ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، رُدَّ هَؤُلَاءِ، تُوَجِّهُ هَؤُلَاءِ إِلَى الرُّومِ وَقَدِ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ جَرَتِ الْكِلَابُ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا رَدَدْتُ جَيْشًا وَجَّهَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا حَلَلْتُ لِوَاءً عَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَّهَ أُسَامَةَ فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَبِيلٍ يُرِيدُونَ الِارْتِدَادَ إِلَّا قَالُوا: لَوْلَا أَنَّ لِهَؤُلَاءِ قُوَّةً مَا خَرَجَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ مِنْ عِنْدِهِمْ وَلَكِنْ نَدَعُهُمْ حَتَّى يَلْقَوُا الرُّومَ فَلَقَوُا الرُّومَ فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ وَرَجَعُوا سَالِمِينَ فَثَبَتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ".

توفي ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، وظهر مانعوا الزكاة، تأمل معي الأمور مضطربة، الخوف مسيطر، المنطق البشري يقول: لا بد من بقاء هذا الجيش لحماية المدينة؛ لأن أهل الردة قد أحاطوا بالمدينة، وقتال هؤلاء المرتدين إلا أن أبا بكر ﷺ وببصيرة المتبع لسنة النبي ﷺ أبى ذلك؛ فأبى إلا أن يُنفذ جيش النبي ﷺ تطبيقًا لأمره، وسيرًا على سنته، ما النتيجة؟

- انتصر الجيش.
- **ثانيًا**: من كان ينوي أن يرتد عن الإسلام رجع عن نيته، لما رأى من قوة المسلمين، وهذا كله ببركة تطبيق سنة النبي ﷺ.

⇦نحن الآن ما نتكلم عن أفراد، نتكلم عن تطبيق السنة في الدولة، وأبو بكر ﷺ هو الذي قال: "لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ".

ثم سار الخلفاء الراشدون من بعده، والصحابة الكرام على طريقة هدي النبي ﷺ؛ وتوسعت رقعة دار الإسلام، وانتشر العلم، وكثُر المال، وكثرت الفتوحات.

ولأجل ذلك حثَّ العلماء على لزوم السنة لمن أراد نهضة البلاد، وعمرانها، ولمن أراد صلاح المجتمع ونجاته.

✍كان الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، يقول: "لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها".

✍**وقال**: "السنة سفينة نوح؛ من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها هلك".

وتأملوا معي؛ ما يجري في آخر الزمان عند خروج الدجال، فيلقاه رجل مؤمن صالح، فيجابهه بالسنة، فلا يُسلط على أحدٍ بعده، فانظر إلى بركة السنة حتى في مواجهة الفتن.

روى مسلم في صحيحه؛ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ -مَسَالِحُ الدَّجَّالِ- -أي حرسه- فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ -أي الدجال- أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

وفي رواية قال: "أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ، الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ".

انظروا إلى تطبيق السنة في مواجهة الفتنة التي عصفت بالدولة الإسلامية في تلكم الحقبة من الزمن التي لم تأتِ بعد.

«قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، فَيَقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا».

وهذا من الفتن التي أعطاها الله ﷻ الدجال؛ ينشر الرجل إلى نصفين ثم يمشي بينه، ثم يقول له: قم، فيقوم حيًا.

«قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ»[1].

هذا الذي ذكره النبي ﷺ، ثم بعد ذلك ينزل المسيح عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- ويقتل الدجال.

---

(1) - أخرجه مسلم (2938).

⇦**فتأملوا رحمكم الله إلى** بركة تطبيق السنة في إقامة أسس الدولة ونهضتها، وفي مواجهة الفتن التي تعترض للدولة المسلمة، فلذلك لن تجتمع للأمة كلمة، ولن يتحقق لها نصر مُؤزر، ولن تُحقق نهضة في جميع مجالاتها؛ الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ولن يتحقق لها الأمن إلا بإظهار السنة والعمل بها في جميع المجالات أفرادًا وجماعات ودول.

➢**فإن قال قائل: ما هي الأسس التي جاءت بها السنة لكي تقوم بها نهضة المجتمعات والدول؟**

أقول: السنة جاءت بدين الله ﷻ، ودين الله واضعه هو خالق البشر، وهو الخبير الحكيم؛

- الخبير بأحوال من خلق.
- الحكيم الذي يضع الأمور في مواطنها، ومواضعها الصحيحة.

ولذلك فدين الله، وسنة النبي ﷺ صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان.

وإن قال أصحاب الماديات في العصر الحالي، وأصحاب مذهب الفصل بين الدين والدولة من العلمانيين أن هذا الدين لا يصلح لهذا الزمان الذي ظهرت فيه الأقمار الصناعية، وحصلت فيه ثورة تكنولوجية واقتصادية وفي جميع المجالات، بل ديننا صالح ومصلح إلى قيام الساعة.

⇦**انظر معي في جانب السياسة الشرعية**: أوجبت السنة تنصيب ولي أمر للمسلمين، وأمرت بالسمع والطاعة له؛ لأنه لا يمكن لأي دولة أن تقوم بلا نظام واستقرار، ولا يتم النظام والاستقرار إلا بوجود قائد أو ولي أمر يُرجع إليه.

⇦**ومن نظر في السنة**: رأى نصوصها المتضافرة بل المتواترة تواترًا معنويًا في الأمر بالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين ولو كان ظالمًا.

☜ونجد أن النبي ﷺ قد وصف ولاة الأمر الذين سيأتون من بعده بأوصاف تحتوي على الظلم، ولكنه أمر بالسمع والطاعة في غير معصية الله.

✍ روى الإمام مسلم في صحيحه؛ أن سلمة الجعفي سأل النبي ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فقَالَ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»[1].

✍وقال ﷺ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[2] الحديث رواه مسلم.

✍قال ﷺ: «وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[3].

⇦فانظر إلى هذا الوصف؛ يمنعون الحقوق، يضربون ظهور الناس ويأخذون أموالهم، ينحرفون عن شرع الإسلام، وعن دين الله، وعن هدي النبي ﷺ ولكن الوصية من النبي ﷺ : «فَاسْمَعْ وَأَطِعْ».

✍قال العلماء: "لأن وجود السلطان مهم جدًا في استقرار البلاد وتقدمها ونهضتها، ولو كان ظالمًا".

فإن لظلمه أسباب ترجع إلى المجتمع وإلى الأفراد قبل أن ترجع إلى السلطان، فإن الله يدفع بالسلطان عدلًا كان أو ظالمًا شرًا عظيمًا، ومن نظر في البلاد التي حولنا وما جرى فيها من الثورات ومن نزع السلاطين رأى ذلك رأي عين.

---

(1) – أخرجه مسلم (1846).

(2) – أخرجه مسلم (1847).

(3) –أخرجه مسلم (1855).

➢**كما تتطلب نهضة البلدان والتنمية فيها أمنًا وطمأنينة**؛ وقد جاءت سنة نبينا ﷺ بترسيخ مبدأ الأمن والطمأنينة في جميع المجالات؛ فنهت عن كل ما من شأنه أن يُروع المسلمين؛ قال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»[1]، حديدة ترفعها في وجه أخيك وأنت تمزح معه نهى النبي ﷺ عن ذلك، تروعه بأخذ متاعه نهى النبي ﷺ عن ذلك، هذا في أقل الأمور وأيسرها.

➢**كما تتطلب النهضة أيضًا في البلاد تحقيق مبدأ العدالة**؛ وقد وجد ذلك في سنة النبيﷺ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[2].

حتى في تعامل الدولة المسلمة مع غير المسلمين كدول أو مقيمين وضعت السنة أفضل الطرق وأقومها في هذا المجال، لو نظرنا للدول ، النبي ﷺ عقد معاهدات مع غير المسلمين ولكنه أتمَّ عهده ولم ينقضه.

- فعاهد اليهود في المدينة، ولم ينقض العهد معهم.
- وعاهد قريش في صلح الحديبية، ولم ينقض عهده معهم.

وكذلك التعامل مع غير المسلمين من المقيمين سواء كانوا من المعاهدين أو المستأمنين، قال ﷺ: «**أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

➢وفي جانب التجارة، والصناعة، والزراعة، وضعت السنة أهم القواعد التي تبنى عليها هذه المجالات، بما لم تُسبق إليه؛ فقال ﷺ: «**أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ**»[4].

---

(1) – أخرجه أبو داود (5004).

(2) – أخرجه البخاري (3475).

(3) – أخرجه أبو داود (3052).

(4) – أخرجه مسلم (2363).

والقاعدة العامة: أن الأصل في الأشياء الإباحة، والأصل في البيوع الحل، وكل أمرٍ يؤدي إلى جلب المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها فإن الشريعة تأمر به، بل يتميز النظام الاقتصادي والمالي والتجاري في الشريعة الإسلامية وفي السنة النبوية بميّزة يخلو منها أو تخلو منها جميع الأنظمة الوضعية ألا وهو الأخلاق في التعامل.

النظام الرأسمالي والاشتراكي لا ينظر إلى الخُلُقِ في التعامل، خصوصًا النظام الرأسمالي أهم شيء مصلحته، **وعندهم أن العبرة** بتحقيق المصالح الشخصية، لكن في شريعتنا الإسلامية لا.

تعاملاتنا الاقتصادية والمالية منوطة بالمصلحة، ومنوطة بالأخلاق في التعامل، ولها جزاءٌ أخروي ليس فقط جزاء دنيوي؛ سواءً كان في جانب الثواب أو في جانب العقاب.

أنت قد تغش المسلمين في تجارتك، وقد تَنْفُذ من العقوبة الدنيوية لكن في شريعتنا لا ستحاسب على ذلك يوم القيامة، لا نقول: إن القانون لا يحمي المغفلين، بل نقول: أنك إذا ظلمت الناس وأكلت أموالهم بالباطل فإنك ستحاسب على ذلك يوم القيامة؛ فلن تزول قدمك من بين يدي الله ﷻ حتى تُسأل عن هذا المال من أين اكتسبته وفيما أنفقته.

ولذلك لما رأى أهل البلاد في شرق أسيا تعاملات المسلمين الطيبة وحسن خلقهم في الجانب الاقتصادي دخلوا في هذا الدين.

ولبيان عظمة السنة في الجانب الاقتصادي:

انظر إلى الأنظمة التي تُطبق الأحكام الشرعية في الجانب الاقتصادي والمالي هي أقل الأنظمة تأثرًا بما يُسمى الأزمات المالية العالمية.

ولو نظرت في أسباب الأزمات المالية العالمية بعيدًا عن الأسباب السياسية ستجد أن أسبابها هي مخالفة هدي السنة في هذه التعاملات؛ من التعامل بالربا، وأكل أموال الناس بالباطل، والمراهنات المحرمة، والبيوع القائمة على الغش.

وفي المقابل إخواني أنا ما ذكرته لكم الآن من جوانب هذا على سبيل المثال، وليس على سبيل الحصر، وإلا جوانب النهضة التي تقوم عليها أي دولة موجودة في سنة نبينا ﷺ، **وفي المقابل** ترك

السنة وترك العمل بها من أسباب ضياع الأمم وسقوطها، ومن أسباب تخلفها في جميع جوانب التنمية والنهضة.

قد يقول إنسان: نحن ننظر إلى دول الغرب وهم كفار وعندهم نهضة عالية، وعندهم حضارة؛ قد تكون حضارة لكنها حضارة جوفاء، ليست الحضارة تُقاس بالتقدم فقط التقني.

ونحن يسمونا دول العالم الثالث، لا ، الحضارة إذا لم تناط بالأخلاق، لم تُغلف بالأخلاق وحسن التعامل حقارة، وربما هم يُظهرون لنا ما يعيشونه حضارة ولكن لو نظرتم بعين مدقق في أحوالهم لحمدتم الله ﷻ على أننا نعيش في مثل بلادنا.

تأملوا رحمكم الله معي هذا الحديث؛ الذي يُبين لنا فيه النبي ﷺ أن ترك هديه؛ ترك الهدي النبوي في التعامل في البلاد يؤدي إلى عدم النهضة في هذه البلاد، ويؤثر على مجالات التنمية بأنواعها.

قال ﷺ وهو يخاطب المهاجرين والخطاب لأمته جمعاء، قال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**».

هذا يُعرقل النهضة في المجال الصحي وفي المجال البشري؛ فالأمن الصحي يزول بمخالفة السنة في هذا الباب.

ثم قال: «**وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**».

وهذا له تأثير على الجانب الاقتصادي، وعلى التنمية الاقتصادية في الدولة المسلمة.

ثم قال: «**وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ**».

وهذا له أثر في التنمية الاقتصادية كذلك، وعلى النظام السياسي في الدول المسلمة.

ثم قال: «**وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**»[1].

(1) – أخرجه ابن ماجه (4019).

وهذا له تأثير على جانب الأمن في البلدان.

☜**وتأملوا رحمكم الله** ما حصل للصحابة في موقف واحد خالفوا فيه سنة النبي ﷺ؛ وانظروا إلى النتيجة التي حصلت لهم وسنة الله واحدة:

في غزوة أحد؛ أمر النبي ﷺ الرماة أن يلزموا أماكنهم، ولا ينزلوا حتى قال لهم: إن رأيتمونا تخطّفنا الطير فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أُرسل لكم.

فلما رأووا المشركين قد فروا فنزلوا، قالوا: الغنيمة ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: إن والله لنأتينَّ الناس فلنصيبنا الغنيمة، **ما النتيجة؟**

- **أولًا**: هُزم المسلمون.
- قُتل سبعون.
- جُرح النبي ﷺ وسال الدم من وجهه لمخالفة سنة وأمر واحد للنبي ﷺ لم يؤثر على الأفراد بل أثر على جيش وعلى دولة.

وأنزل الله قوله: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾[آل عِمۡرَان الآية 152].

☜**قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ **في [زاد المعاد] وهو يذكر بعض الحكم والغايات المحمودة في هذه الغزوة، يقول:** " فَمِنْهَا: تَعْرِيفُهُمْ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ وَالْفَشَلِ وَالتَّنَازُعِ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ إنَّمَا هُوَ بِشُؤْمِ ذَلِكَ.

فَلَمَّا ذَاقُوا عَاقِبَةَ مَعْصِيَتِهِمْ لِلرَّسُولِ، وَتَنَازُعِهِمْ، وَفَشَلِهِمْ، كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ حَذَرًا وَيَقَظَةً، وَتَحَرُّزًا مِنْ أَسْبَابِ الْخِذْلَانِ".

⇦**وتأملوا رحمكم الله**؛ ما حصل لعاصمة الخلافة الإسلامية في بغداد؛ لما استعان الخليفة بعدوٍ من أعداء الإسلام والسنة وهو ابن العلقمي الرافضي؛ الرافضة من أشد أعداء الأمة الإسلامية بل أشد على الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى، ما الذي جرى؟

سهَّل دخول التتار إلى بلاد المسلمين، وقُتل ما يربوا على مليون نسمة في بغداد وحدها، وقُتل الخليفة.

فانظر إلى أثر ترك السنة حتى في توظيف الوظائف، وتعيين أهل البدع ممن يُحاربون السنة فيها.

✍**ولقد ذكر مؤرخو الاستعمار الصليبي** أن الذين ساعدوهم على دخول بعض بلاد المسلمين هم أصحاب الزوايا والطرق المخالفين للسنة، فكانوا عونًا للاستعمار على بلاد الإسلام.

ولما دخل التتار بلاد المسلمين، وعاثوا فيها ما عاثوا، وأراد أهل العلم إخراجهم بالجهاد؛ ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ نظر في الجيوش فرأها عندها ابتعاد عن سنة النبي ﷺ وعن الله ﷻ، فيذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه رآهم يستغيثون بغير الله، يقولون: "يا خائفين من التتار لوذوا بقبر أبي عمر" أحد من الصالحين والأولياء الذين يُستغاث بهم من دون الله، فلن يُحقق الله لهم نصرًا.

فماذا فعل؟ فنهاهم ونصحهم وعلَّقهم بالله وبسنة رسول الله ﷺ، فيقول: "فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم الله على عدوهم نصرًا عزيزًا، ولم تُهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلًا لما صح من تحقيق توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك، فإن الله ينصر رسوله والذين آمنوا".

⇦**وتأملوا إلى أحوال الخوارج على مر الأزمان لما خالفوا سنة النبي ﷺ في اعتقادهم وأفعالهم وجهادهم أفسدوا في بلاد المسلمين غاية الإفساد.**

←**ولذلك طريق التعامل مع الخوارج**: هو التعامل معهم بسنة النبي ﷺ.

➢ **ما هي سنة النبي ﷺ في التعامل مع الخوارج؟**

✍قال –عليه الصلاة والسلام-: «قَوْمٌ يَخْرُجُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَتْرُكُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[1].

هذه هي السنة في التعامل مع الخوارج؛ لأنهم يعتبرونك ويعتبرون كل من خالفهم كافر، ويجب قتاله، حلال الدم والمال، والعرض.

⇦**ولا أُطيل عليكم لكن أختم بعبرة حصلت في التاريخ**؛ وهو أن بعض المسلمين أهل السنة تعاونوا مع بعض الخوارج لأجل القضاء على بعض الظالمين في دولة من الدول، ذكر ذلك القاضي عياض، فتعاونوا معهم، فلما وصلوا في القتال إلى هذا العدو أمر الخوارج قائد الخوارج جنوده بأن يتراجعوا، وأن يُخلّوا بين السنة وهذا الظالم، فقتَّلوا أهل السنة الذين شاركوا الخوارج في هذا الجيش.

☜فلذلك إذا أردنا إخواني، إذا أرادت الدول الإسلامية والقادة نهضة مبنية على أسس قوية فلابد لهم من الرجوع إلى هدي الإسلام عمومًا وإلى سنة النبي ﷺ خصوصًا.

☜وإذا أردنا ذلك أن ينتشر أولًا نبدأ بأنفسنا؛ فلنُطبق سنة النبي ﷺ على أنفسنا على ذواتنا؛ في صلاتنا، في صيامنا، في كافة عبادتنا، نُطبق سنة النبي ﷺ في لباسنا، في هيئتنا، نُطبق سنة النبي ﷺ مع أولادنا، وزوجاتنا، في بيوتنا، في تعاملاتنا مع الآخرين، متى ما انتشر تطبيق السنة وعمَّ؛ فإن الخير يعم، والنهضة تنتشر، وتقوم الدولة على أفضل حال وأقوى أساس، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفّقنا جميعًا لما يُحبه الله ويرضاه.

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نسالك الجنة ونعوذ بك من النار، اللهم اجعلنا من عتقائك من النار في هذا الشهر المبارك، اللهم اجعلنا ممن يصوموا رمضان ويقومه إيمانًا واحتسابًا، إن الله على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

هذا والله أعلم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(1)-أخرجه البخاري (3344).

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 في كي Vk 】

https://vk.com/baynoonanet

【 لينكدان Linkedin 】

https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية

【 ريديت Reddit 】

https://www.reddit.com/user/Baynoonanet

【 تشينو chaino 】

https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a

【 بنترست Pinterest 】

https://www.pinterest.com/baynoonanet/

【 سناب شات Snapcha 】

https://www.snapchat.com/add/baynoonanet

【 تطبيق المكتبة 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/33uUnQr

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/WNbvqL

【 تطبيق الموقع 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/2Zvk8OS

لأجهزة الأندرويد

https://bit.ly/3fFoxWe

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

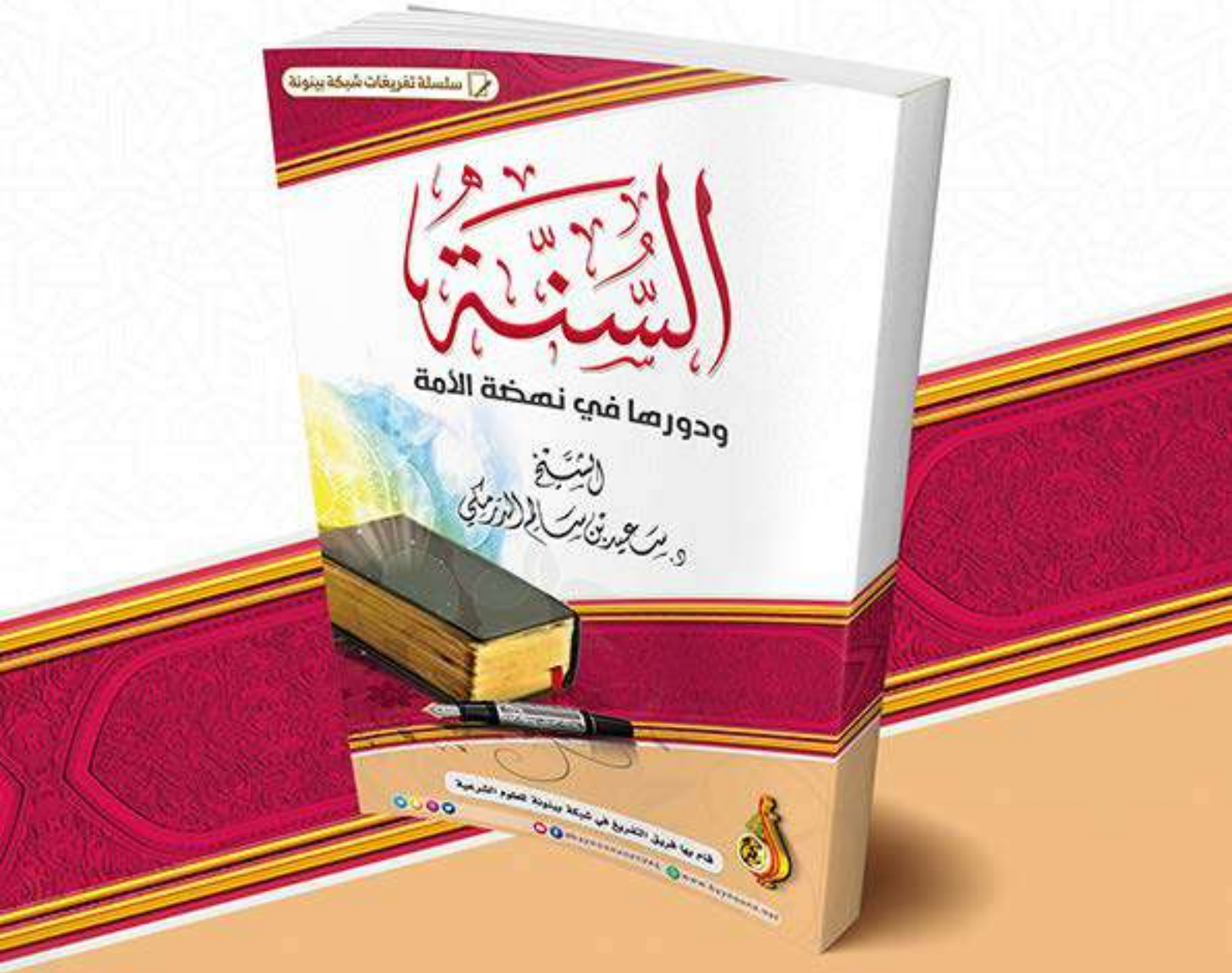

للمزيد من التفريغات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat